GIEM

164
2026

معيار الإنفاق بين صلاح العقيدة وفسادها

أنموذج الإنفاق في القرآن الكريم

Volume No. 164, FEBRUARY 2026 - SHABAAN 1447

معيار الإنفاق بين صلاح العقيدة وفسادها

أنموذج الإنفاق في القرآن الكريم

د. سامر مظهر قنطقجي

رئيس تحرير مجلة الاقتصاد الإسلامي العالمية

إن عقلنة الأعمال، أو أنسنتها، هو توجه حاول الاقتصاد التقليدي تغطيته بعد توحش عالم الأعمال في ظل الرأسمالية المتوحشة وتوجهها نحو احتكار القلة، فتحول الصراع بين الشركات والحكومات لتطويع الأعمال نحو العقلانية والإنسانية. فنشأت في الربع الأخير من القرن الماضي مفاهيم المحاسبة الاجتماعية[1] ثم تطورت إلى محاسبة البيئة ومثيلاتها، ثم بدأ مجتمع الأعمال بتسويق مفاهيم المسؤولية الاجتماعية حتى صارت التقارير المالية تنشر مساهمة شركاتها في تلك المسؤولية.

وهذا تطور محمود، لأنه يمُثل إطاراً استراتيجيًا يساعد المؤسسات على تحقيق التوازن بين الربحية الاقتصادية والمسؤولية الاجتماعية، لجعل الشركات أكثر شفافية وأكثر مسؤولية تجاه المجتمع. وهذا حقٌ طبيعيٌ.

جاءت تلك المفاهيم كرد فعل على إساءة الشركات لمحيطها ومجتمعاتها، بعدما ارتفعت أصوات الجماعات الخضر، وتجمعات ونقابات بأسماء أخرى، فاضطرت الشركات إلى تطوير مفاهيم المسؤولية الاجتماعية واجتهدت في إيجاد قياسات لها لتساعد في بيان نشاطاتها ومساهماتها.

إن للإسلام رأي آخر، فمنذ أكثر من ١٤ قرنًا، وظّف الإسلام بتشريعاته المال ضمن إطار عقلاني وإنساني، وقد أشارت الآيات في كتاب الله تعالى لذلك، وتجلى ذلك في جعل الإنفاق ليس عملاً ماليًا فحسب، بل مبادئ أخلاقية ربطت الإيمان بالعمل، وشملت آيات الإنفاق: الصدقات، والنفقات الواجبة، وتعزيز الأسرة، ودعم المحتاجين، وإعمار الأرض، إضافة للحج والعمرة والجهاد، وجُعل كل ذلك وسيلة لتحقيق البر والتقوى. أي أن القرآن الكريم قد ربط فعل الإنفاق بالثواب العظيم وجعله معياراً للإيمان الصادق.

[1] للمزيد كتابنا: فقه المحاسبة الاجتماعية، https://kantakji.com/1036/.

كما رشّد الإنفاق بإبعاده عن التبذير والإسراف لما لذلك من أثر تضخمي في الاقتصاد، وأبعده عن الشح والبخل لما لذلك من أثر انكماشي في الاقتصاد، قال تعالى: **وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا** (الفرقان: ٦٧). وهذا الترشيد يطال الإنفاق الحكومي وإنفاق الشركات وكذلك الإنفاق الأسري، سواء أكان موجهًا نحو الإنفاق الاستهلاكي أو للإنفاق الرأسمالي، يقول تعالى: **وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ** (النجم: ٤٨)، والقنية هو ما يُشترى للاحتفاظ به، كالأصول ثابتة، والأصول الرأسمالية عمومًا. وبذلك أعطى الإسلام للمال أبعادًا أخلاقية بما لم تعهده البشرية من قبل ظهوره ولا من بعده. فجعل الإنفاق:

- يربط بين **الإيمان والعمل**، فلا يكفي الإيمان القلبي دون بذْلٍ عملي.
- يرسخ مفهوم **التكافل الاجتماعي** ويمنع التفاوت الطبقي برفع دخول الفقراء دون أن يؤثر ذلك على ثروات الأغنياء، فالزكاة نسبتها ثابتة ومحدودة ب ٢.٥٪ سنويًا، فإذا تصورنا أن المال لم يتم تثميره أبدًا، فستحتاج الزكاة لأربعين عامًا لأكل مطرحها، وهذا غير واقعي، فلا أحد يترك ماله دون تشغيل كل هذه المدة.
- يحقق **البركة في المال** بمضاعفة أجر المنفق بلا حدود، فالمشكلة الاقتصادية موجودة عند الخلق وليست موجودة عند الخالق الذي يقول للشيء: **كُن فَيَكُونُ** (البقرة: ١١٧)، يقول تعالى: **مَّثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنبُلَةٍ مِّائَةُ حَبَّةٍ ۗ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ** (البقرة: ٢٦١).

النتيجة: الإنفاق معيار أساسي لصدق الإيمان ووسيلة لنيل الأجر العظيم

لقد تلت بعض آيات الإنفاق، آيات فيها تكفير أو تقرب، جاءت بعد آيات تتحدث عن العقيدة أو عن مخالفات الكفر والنفاق، للتأكيد على أن الإنفاق الصحيح لا يكون مجرد عمل شكلي، بل هو ثمرة إيمان صادق، أما الإنفاق الفاسد فيكون وسيلة للتقرب الباطل أو للتكفير عن الذنوب بطريقة غير مشروعة. ومثال ذلك:

١. **الإنفاق بعد ذكر اختلاف الكفار واقتتالهم**: قوله تعالى: وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَٰكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ (البقرة: ٢٥٣)، جاء بعده أمرٌ للمؤمنين للإنفاق بوصفه أداة التقرب إلى الله في يوم الحساب. قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ۗ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ (البقرة: ٢٥٤).

٢. **الإنفاق بعد التحذير من الكفر**: يربط القرآن بين فساد الكفر وفساد الإنفاق إذا كان رياءً أو منًّا، يقول تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا ۖ لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا ۗ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ (البقرة: ٢٦٤)، ثم تلاها حديثٌ عن الإنفاق الصحيح الذي شبّهه المولى بربوة في جنة أُكلها وافر ومضاعف، وذلك بقوله تعالى: وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (البقرة: ٢٦٥).

٣. **الإنفاق بعد ذكر النفاق**: قوله تعالى: الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ ۘ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۗ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (التوبة: ٦٧). جاء بعدها قولُ جلَّ جلاله: خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (التوبة: ١٠٣). ليبين أن الإنفاق الصحيح يُطهّر النفس من النفاق.

النتيجة: المال لا ينفع إن كان وسيلة للتكفير أو للتقرب غير المشروع،
بينما هو عبادة إن كان نابعًا من الإيمان والتقوى

وبذلك سعت آيات كتاب الله إلى:

- إبراز أن قيمة المال ليس في ذاته، بل هي مرتبطة بالعقيدة والنية.
- الإنفاق عند الكافر أو المنافق لن ينفعه، بينما هو وسيلة للتقوى والبر عند المؤمن.

- يفيد التتابع القرآني أن الإنفاق الصحيح هو ثمرة الإيمان الصادق.

ولرسم نموذج الإنفاق الذي يحقق صلاح العقيدة، وبالعودة للآيات ٢٦٥ و ٢٦٦ و ٢٦٧ من سورة البقرة: فإن الآية ٢٦٦ من سورة البقرة تضرب مثلاً بستانًا مثمرًا يملكه إنسان قد بلغه الكِبَر وله ذرية ضعفاء، فتأتيه ريح فيها نار فتحرقه، كتصوير لحال من يُنفق رياءً أو على غير وجه الحق؛ فعمله يضيع في وقت هو أحوج ما يكون إليه.

ثم تأمر الآية ٢٦٧ المؤمنين بالإنفاق من طيّبات ما كسبوا، لا من الخبيث الرديء، وتنهى عن قصد الرديء في الصدقة، لأن الله غني حميد لا يقبل إلا الطيب.

فيشكل تتالي الآيات (٢٦٥–٢٦٦–٢٦٧) تأكيداً، بأن قبول العمل عند الله مرتبط بثلاثة عناصر يمكننا استنتاجها مما أوردته بعض التفاسير، كالآتي:

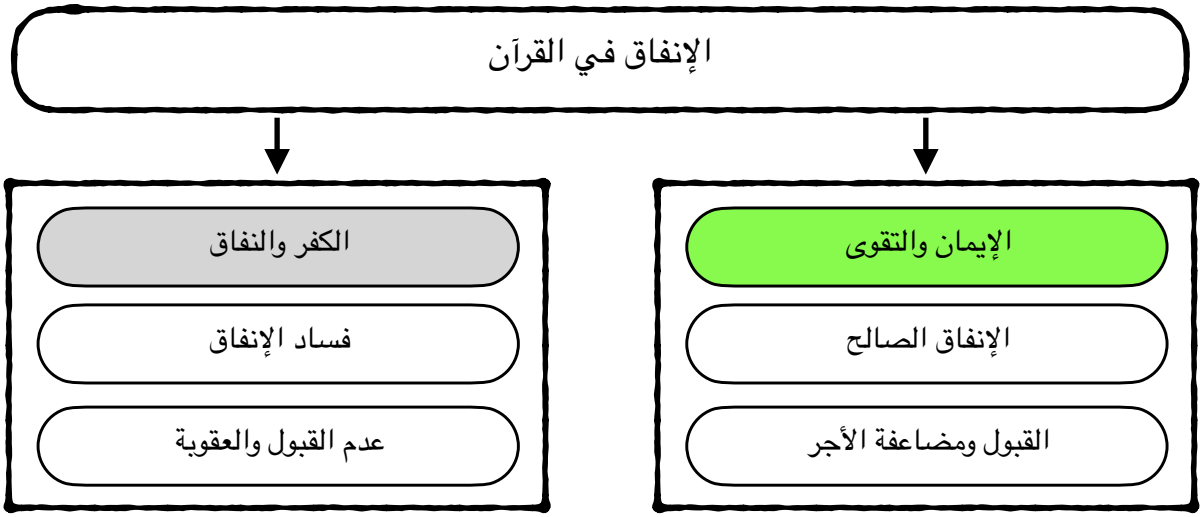

١. **الإخلاص أساس القبول** (الآية ٢٦٥):

- ابن كثير: العمل المخلص مثمر دائمًا، قليلاً كان أو كثيراً.
- السعدي: من قصد وجه الله وتثبيتًا من نفسه، فعمله كالجنة التي تُثمر دائمًا.
- القرطبي: الإخلاص يجعل العمل ثابتًا ومضاعفًا.

ويكون **التطبيق** بأن: تجعل نيتك دائمًا لله وحده في كل صدقة أو عمل صالح.

٢. **الحذر من إبطال العمل** (الآية ٢٦٦):

- ابن كثير: الرياء والمعاصي تُفسد العمل كما يحرق الإعصار البستان.

- السعدي: الخسارة تكون عند أشد الحاجة للعمل يوم القيامة.
- القرطبي: هذا مثل لمن أفسد عمله بالمعاصي بعد الطاعة.

ويكون **التطبيق** بأن: لا تدع الرياء أو الذنوب تضيّع ثمار عملك، فحافظ على صفاء نيتك واستقامة سلوكك.

٣. **الإنفاق من الطيب الحلال** (الآية ٢٦٧):

- ابن كثير: سبب النزول أن بعض الأنصار كانوا يخرجون التمر الرديء، فنزلت الآية تنهى عن ذلك.
- السعدي: الله لا يقبل إلا الطيب، فلا يليق أن يُقدَّم له الرديء.
- القرطبي: الآية تشمل الزكاة المفروضة والصدقات التطوعية، مع أحكام فقهية في الأموال.

ويكون **التطبيق** بأن: تختار أجود مالك للزكاة والصدقة، ولا تعطِ لله ما لا ترضاه لنفسك.

وبذلك يجمع المؤمن بين **صفاء القلب** و**جودة العمل** و**حسن الاختيار**، فينال القبول والبركة.

حماة (حماها الله) بتاريخ ٢٣ رجب ١٤٤٧ هـ الموافق ١٢ كانون ٢ / يناير ٢٠٢٦ م